

معركة أبو طليح 17 يناير 1885م ودورها في تحرير الخرطوم (دراسة تحليلية من منظور عسكري إستراتيجي)

مدير المتحف الحربي - الخرطوم

د. عمر النور أحمد النور

مستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على معركة أبو طليح 17 يناير 1885م ودورها في تحرير الخرطوم وهي تعتبر معركة (تعطيلية) من خلالها استطاعت قوات الامام المهدي من تعطيل القوات القادمة (الحملة القادمة لإنقاذ غردون) وتفرقة قوات غردون. وتعتبر هذه المعركة من اهم المعارك التي خاضتها قوات الامام المهدي لأنها كانت السبب في تعطيل خط سير الحملة - وتشتيتها وجرح قائد القوة السبب الذي أدى لانتصار قوات الامام المهدي في تحرير الخرطوم - وإسقاطها ومقتل غردون في 25 يناير 1885م بالخرطوم حينما فشلت الحملة من الوصول. اهتمت الورقة بالشرح المفصل لتكوين قوات معركة أبو طليح من طرف قوات المهدي ومن ثم القوات الاخرى (الانجليزية) ومن ثم طريقة الهجوم وكيفية نجاح القوة في تعطيل القوات الانجليزية أكثر من مرة حتى سقطت الخرطوم. أتبع الباحث المنهج التاريخي الوصفي التحليلي بغية الوصول الى نتائج منها..مقتل غردون باشا يعتبر هزيمة كبرى لإمبراطورية كبرى (بريطانيا) من جيش غير نظامي .قوة العقيدة القتالية لقوات المهدي ، كانت دافع كبير في تحقيق النصر .

كلمات مفتاحية: تحرير الخرطوم- أبو طليح ، حملة الانقاذ ،قوات المهدي- غردون باشا .

BATTLE OF ABU TELIH 17 JANUARY 1885 AND ITS ROLE IN LIBERATION OF KHARTOUM ANALYTICAL STUDY FROM STRATEGIC MILITARY PARSPECTIVE

Omar Al – Nour Ahmed Al- Nour

Abstract:

This study aims to shed light on the Battle of Abu Telih 17 January 1885. Which considered as a (disrupting) battle, through which that Imam El Mahadi's forces disrupted the coming forces (Coming Campaign for rescuing Gordon) and parted his forces . This Battle considered as one of the most important battles that Imam El Mahad's forces fought because they were disrupting the campaign and wounded its commander, the reason that led to victory of Imam El Mahadi forces in liberation and overthrow of Khartoum and killed Gordon 25 January

1885 when the Campaign failed to reach Khartoum. The paper focused to explained in detail the formation of Abu Telih battle, El Mahidi's forces and then the other forces (The British forces) then the way of attack and success of El Mahadi forces to disrupt the British forces more than one time until overthrow of Khartoum. The researcher followed the historical descriptive analytical method in order to reach the result as : Killing of Gordon Basha is considered as a major defeat for a major empire (Britain). Strong fighting doctrine of El Mahadi forces was a great motivation to achieve victory.

Key words: Liberation of Khartoum – Abu Telih – The Rescue campaign – Mahadia forces – Gordon Basha.

مقدمة :

لدراسة معركة أبو طليح 17 يناير 1885م والتي تمثل واحدة من معارك الأمة السودانية في فترة المهديّة والمعارك الكثيرة التي خاضتها الأمة قبل وبعد هذه المعركة ،لابد من الرجوع إلى الأهداف والدوافع لدى الطرفين لمعرفة الأسباب الأساسية التي تأسست عليها هذه المعركة . ومما أن معركة أبو طليح كانت من خلال منظورنا المحلي هي السبب الرئيسي في عدم مقدرة الحملة الإنجليزية على الوصول الى الخرطوم في الزمن المناسب وبالقوة المناسبة بحيث يؤدي ذلك الى عدم سقوط الخرطوم في أيدي قوات المهديّة المحاصرة المدينة في تلك اللحظات . وان حدث وتم ذلك فإن تاريخ السودان كان سيتغير تماما تبعا لاستمرارية احتلال المستعمر الإنجليزي وبالتالي بناء الدولة على الأسس التي تنطلق منها دولة المستعمر سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية ، بالضرورة ستمس الجانب الديني والعقائدي . مع ملاحظة أن الأهداف والدوافع في تلك الفترة كانت تختلف باختلاف الجهات المتصارعة في السودان اذا خصناها في ثلاث هم الوطنيين في السودان والأتراك في مصر و الإنجليز في بريطانيا فإنه يتضح بأن لكل منهم أهدافه و دوافعه .

الأهداف و الدوافع البريطانية :

- الأهداف و الدوافع على المستوى الإستراتيجي والتعبوي (تحليل)
- الإنفراد باحتلال السودان بعد إبعاد الجانب المصري تحت حكم الأتراك
- كانت تلك بداية النهضة الصناعية لبقية دول أوروبا وبالتالي تعنى الحوجه إلى المواد الخام لإدارة ماكينات الصناعات و الأسواق . وبالتالي المنافسة .
- نشر الديانة المسيحية والتمكين للمبشرين و الدعاة .
- ضرب الثورة الدينية الوليدة في السودان وإخمادها نارها .
- الانتقام من قتلة القادة الإنجليز أمثال هكس باشا و استيوارد و هازمي الجنرالات أمثال فالنتاين بيكر .

– إنقاذ العلم البريطاني غردون باشا وبالتالي الاحتفاظ بالسودان تحت المظلة البريطانية.
– غزو السودان يعتبر نزهة ونوع من التغيير والمغامرة غير الخطرة وبالتالي يمكن لأبناء
الأسر الراقية و اللوردات الاشتراك في ذلك بما يمكنهم من الحصول على الميديايات و
الأوسمة .

على المستوى التعبوي .⁽¹⁾ كان الهدف هو تقدم طابور الصحراء من منطقة كورقي على
نهر النيل ثم إنشاء قاعدة في منطقة جقدول واحتلال منطقة أبي طليح والمتممة تمهيدا للانطلاق
الى الخرطوم .

على المستوى الميداني .⁽²⁾ كان هدف طابور الصحراء تدمير مقاومة الثوار في منطقة أبي طليح
و الوصول الى الآبار .

يرى الكتاب الإنجليزي ومؤرخي معركة أبي طليح بما فيهم الكتاب المصريين ، ان معركة أبي
طليح انتهت بسحق قوات الثوار وتكبيدهم خسائر كبيرة واستمرار الحملة في طريقها الى المتممة
ثم الى الخرطوم ولكن تأخر الحملة في منطقة القبة جنوب المتممة لمدة خمس أيام قبل تحركها
للخرطوم هو سبب سقوط الخرطوم وليس معركة أبي طليح

تكوين القوة :

القوات البريطانية . من المراجع التي استندت على الوثائق البريطانية ، يتضح شكل
القوات البريطانية أفراد وقادة وكيف تم اختيار القوات من الوحدات العسكرية المختلفة التي
تتمتع بتأهيل وخبرة طويلة في معارك فعلية ، وقادة مشهود لهم في الميدان وفي حسن التصرف
وإجادة أعمالهم بالإضافة الى الدعم المادي و المعنوي الكبير الذي شاركت فيه الصحف في ذلك
الوقت ، وتهيئة الرأي العام البريطاني ودعمه المؤيد للحملة وجدير بالذكر هنا هو الكيفية التي
تم بها اختيار قائد الحملة الذي يجب ان نعرف بأنه المشير فسكاونت قارنت جوزيف ولسلي
،نائب القائد العام للجيش البريطاني والذي تم اختياره بواسطة وزير الحربية البريطانية . اما
ميزانية الحملة فلقد كانت مشار جدل في مجلس الوزراء البريطاني الذي وصل أخيرا إلى إرسال
الحملة بأغلبية تسعة وزراء مقابل ثلاث وزراء وبتكلفة تبلغ ثلاثمائة الف جنيه إسترليني في حينه،
وهي ميزانية ضخمة بحساب ذلك الزمان ولنأتي لتوضيح القوات التي شاركت في الحملة ، قيادة
و أفراد وعناصر أخرى .

– قائد الحملة . المشير سير قارنت ولسلي نائب القائد العام للجيش البريطاني

– نائب قائد الحملة . اللواء بولر والذي قال عنه تشرشل انه افضل مثال للضابط
البريطاني . اشترك في حروب السودان ضد عثمان دقنة واشترك في حملة احتلال مصر
وهو من الذين يجيدون عملية التنظيم والإدارة .

– قائد طابور الصحراء⁽³⁾ . العميد سيرهربرت استيوارت اشترك في كل الحروب أثناء فترته
ورقى لرتبة اللواء بعد إصابته في منطقة ابى خروق ويتميز بشجاعة خارقة ومن أميز
الضباط الإنجليز .

– نائب قائد طابور الصحراء العقيد فردريك جوستاف بيرني والذي كان من المفترض أن يصبح كمندان الممتدة بعد احتلالها ولكن جرح في معركة أبي طليح .

– يعرف عنه بأنه انتهazy مغامر مثقف وكاتب .. يحب القتل تجزئة وجملة ولصفاته هذه عينة ولسلى نائب لقائد طابور الصحراء .

– قائد سلاح الاستخبارات العقيد سير تشارلز وليم ولسون عينه ولسلى قائد لسلاح الاستخبارات وكتب له بمصر خطاب يقول له فيه بأنه أفضل شخصية يراها لإدارة استخباراته وهو الزى استلم قيادة طابور الصحراء بعد مقتل نائب الطابور وجرح القائد الطابور .

قائد لواء الهجانة الخفيف ⁽⁴⁾ العقيد إستانلى كلارك . احد الذين استبدل بهم أمير ويلز ابن الملكة فكتوريا الذي كان يرغب في الانضمام للحملة وهو احد الذين اعتقدوا بأن الحملة ستكون نزهة ولكنه للأسف هرب قبل نهاية النزهة . قائد قوات الاسطول الملكي : لورد تشالز بيرسكورن احد اصدقاء امير ويلز من النبلاء ضابط بحرية شهير ، مشاكس مغامرا قادة المدمرة التي قصفت مدافع المدفعية المصرية بالإسكندرية وهو من اوكل له تنظيم مدينة الاسكندرية وتنظيفها من الثوار بعد احتلالها وهو المسئول عن المدفع القاردرن في معركة ابي طليح . قائد حرس الهجانة : (فارذر) الشريف مقدم ي . ي . د . تالبوت من لواء لايف قارذر . قائد لواء حرس الهجانه ⁽⁵⁾ . (فارذر) الشريف مقدم ي . ي . بوسكاون من لواء الكولد استريم قارذر . قائد لواء مشاة الهجانه . الشريف رائد قوف من لواء السواري . نائب قائد لواء الهجانه الثقيل . ⁽⁶⁾ نقيب لورد سنت من لواء الرماحة 16 . نائب قائد لواء الهجانه الخفيف . نقيب . هـ . باجت من لواء السواري السابع . نائب قائد لواء حرس الهجانه (قارذر) س . كرتشلي من لواء السكوترز فارذر . نائب قائد لواء مشاة الهجانه . نقيب . ن . س ويل من لواء نور توك . الاطباء الذين صاحبوا الحملة . الجراح ج . ج . تالف السلاح الطبي . الجراح كونكي السلاح الطبي . الجراح ج ماجيل من لواء الكولد استريم فارذر .

ضباط لواء الهجانة الثقيل . إمدادات ملازم لي من لواء اللايف قارذر . قائد فصيلة الشريف رائد . يالينق ، النقيب لورد كوكز . الرائد لورد . أ . سمرست ، النقيب أ ل قولد النقيب ج دبل يو داوي نقيب دبل يو هـ اترنون رائد دبل يو قوف نقيب دبل يو هـ هيبيل رائد ل قارميشل رائد ل دينسون بالإضافة إلي عشرة ملازمين بالفصائل .

ضباط لواء الهجانه الخفيف : تسعة ضباط قادة الفصائل وتسعة ضباط بالفصائل . ضباط حرس الهجانة . تسعة ضباط قادة الفصائل وتسعة ضباط بالفصائل . ضباط لواء مشاة الهجانة : 15 ضباط قادة الفصائل والسرايا .

القوات والعناصر الأخرى . لواء الهجانه الثقيل . عشرة فصائل سحبت من عشرة ألوية . لواء الهجانه الخفيف . تسعة فصائل سحبت من تسعة ألوية . لواء حرس الهجانه . تسعة فصائل سحبت من ستة ألوية . لواء مشاة الهجانه . أربعة سرايا كل منها سحبت من عدة ألوية . قوات

مصرية : تضم طواقم مدفعية ومشاه . خدم انجليز وقادة جمال : الخدم كانوا مدربين وعددهم مائتين وعشرون جندي 220 جندي وهم الذين أتوا مع سادتهم اللوردات والإشراف . قادة الجمال عددهم مائة وعشرون (120) . مجموعة لواء . لإعمال طوابير الاستعراض وعددهم مائة وعشرون 120 . السواري : عددهم مائة وخمسون فارس للاستطلاع . الأسطول الملكي : خمسون جنديا . المدفعية : نصف بطارية مدفعية عدد أفرادها ثلاثون جندي 30 جندي . صحفيون وكتاب: عددهم عشرة . الجمال التي استخدمت : ومائة ثمانية ومائون جمل . جياذ : مائة وخمسة وثلاثون جواداً .

قوات المهدي :الأمير موسي محمد الحلو القائد العام للقوات . قوات الجعليين بقيادة الأمير عبد المجاهد محمد خوجلي ويساعده الأمير الحاج علي ود سعد وتعداد القوة التي اشتركت في المعركة ألفي مقاتل .قوات الراية الخضراء بقيادة الأمير موسي ود حلو وتعداد المشتركين في المعركة ثلاثة آلاف مقاتل نصفهم راجل ونصفهم فرسان ويساعد الأمير موسي كل من محمد ود بلال يقود ارباع دغيم ، عبد الله برجوب يقود أرباع اللحويين ، إبراهيم عجب الفبه يقود جزء من ربع كنانة ، البشير عجب الفية جزء من ربع كنانة ، احمد جفون يقود ربع الشنخاب .

تحليل العسكري:

بالنظر لتكوين القوتين يتضح للقارئ الاختلاف بين القوتين من حيث أن القوات البريطانية عبارة عن قوات عسكرية نظامية مدربة تدريب عال ومؤهلة بالخبرة الطويلة وبكميات التجارب العملية من الحروب التي خاضتها . الإعداد والتجهيز بما فيه من اختيار نوعية القوات والقادة والأسلحة لهذه الحملة والذي تم بعناية كبيرة والدعاية التي صاحبته . الأهداف والدوافع التي أرسلت بموجبها الحملة .العقيدة التي يقا تل كل طرف من اجلها . الدعم المادي والمعنوي الذي دعمت به القوات الانجليزية .

فإذا كانت القوات البريطانية المنظمة ، وذات التاريخ والتدريب والخبرة ، في مقابل قوات ثائرة في منطقة تتميز بالخصوصية مثل عمليات الأدغال او الجبال او القتال في المناطق المبنية فأن المعادلة بمقياس تعادل القوي (7) تتقارب وبالتالي يكون هنالك قبول لخسارة الجيش الانجليزي . ولكن ما تم في معركة ابو طليح عبارة عن مواجهة مباشرة لقوتين الأولى عسكرية منظمة هي الجيش الانجليزي والثانية عبارة عن قوات ثوار داعمها الأساسي هو العقيدة القوية (8) والشعور باستلاب الحقوق وحماية الأرض والعرض لذلك نجد ان النجاح قد حالهم لان الأمر يرتبط ارتباط قوي بالعقيدة التي يقا تل من اجلها الفرد وهذا عامل حاسم وتأتي أهميته بمرجعية ان الانجليز كانوا يقاتلون من اجل الحياة وذلك يعني الارتباط والتشبث بها خلاف الثوار الذين كانوا يقاتلون وأشواقهم معلقة بابواب جنات النعيم التي مدخلها يمر عبر بوابة الشهادة .

إذا نظرنا إلي الأهداف والدوافع التي من اجلها يقاتل المقاتل الانجليزي ، نجد انها غير مرتبطة به ارتباط عقائدي او وجداني او تمثل شيء يمكن في النهاية الموت من دونه او لا مفر من ان تموت من اجله . بل أهداف ودوافع يمكن ان يتخلص منها الفرد في اي لحظة من اللحظات

القاسية المريرة وهذا ما جعل القوات الانجليزية الغازية بعد معركة ابي طليح يستشعرون الخطر وتتضح امام ناظرهم حقيقة الامر . ونستدل في ذلك بما اورده الاستاذ ابو شامة من حديث جوليان سيمونز في كتابه ((ان هؤلاء ليس حملة بنادق الرمنجتون دقيقى التصويب ، ولكنهم المحاربون الذين افتدوا للقضاء علي الدخلاء)) وهذه شهادة واحد من بني جلدتهم . لذلك نجد ان معنويات هؤلاء الجنود بعد معركة ابو طليح والشبكات ووصولها الي جنوب الممتة . كانت معنويات منهاره تماما وهي العامل الحاسم والاهم في اكتساب المعارك وهي التي ان فقدت فمهما كان التسليح والعدد والإمداد فالفشل محتم لا محالة . وهذا هو السبب الرئيسي في رأينا لعدم تقدم القوات من القبة جنوب الممتة الي الخرطوم لتنفيذ المهمة الأساسية للحملة ذات التكاليف العالية والإعداد الدقيق والاختيار المميز .

بالنسبة لقوات الثوار ، ليس هنالك اعداد تم التكلّف فيه وليس هنالك انتقاء لابناء ملوك وأمرأ وعلية قوم ، وليس هنالك تمييز بين غني وفقير ، وبين اجير وأمير ، وليس هنالك ترقيات وحوافز تنتظر الفائزين ، ولا مرتبات تصرف ولا نياشين وأوسمة وترقيات . اذا ماهو الدافع ؟ ماهو العائد من وراء كل هذا الكد والتعب والهلاك والموت ؟ انه ليس أكثر من عقيدة امتلاءت بها الجوانح الان وشهادة تنتهي عندها الأزمان .

الخطط للطرفين :

تمثلت خطة قائد القوات الانجليزية في أن تكوين زريبة يحتمي بها حتى صباح اليوم التالي ويترك بها الأحمال والجمال وحراسه . التحرك في تشكيل مربع⁽⁹⁾ بداخله جمال الأحمال وحوله السواري والمشاة الراكبة . احتلال ابار أبي طليح . إحضار بقية القوة من الزريبة . بعد الشرب والتزود من ابار ابي طليح يندفع نحو الممتة لاحتلالها .
تمثلت خطة قائد الثوار في تقسيم القوة الي جماعات كالآتي :-

جماعة الطبول . مائة وخمسون فرد للخداع وزيادة الحماس . جماعة النيران . خمسمائة فرد للضرب علي الزريبة وقتل الجمال والافراد . قوات المناوشة ستمائة فرد لمناوشة المربع اثناء حركته وستر الانسحاب⁽¹⁰⁾ . قوة الاقتحام الرئيسية . ثلاثة الف وسبعمائة وخمسون فرد مقسمة الي خمسة مجموعات تتحرك بطرق مختلفة لمهاجمة العدو .

بالنسبة لخطة القوات الإنجليزية فقد صاحبها عدة أخطاء ساهمت في زياد الأفراد ووسائل الحمل ، ويمكننا تلخيصها في الآتي :

طريقة التقدم او الاقتراب من الآبار في ابي طليح لم يكن الأنسب بقوة بهذا الحجم والتسليح والرتل الإداري ومرور هذه القوة بمنطقة تتميز بالضيق في أماكن محددة يعطى الفرصة للجهة المقابلة في ان تستغل الخانق لوضع كمين يحالفه النجاح في أغلب الأحيان . وكان من الممكن الوصول الى الآبار تماماً والوصول الى النيل والتزود بالمياه وترك موضوع احتلال الآبار وحتى الممتة نفسها. وتنفيذ قصد القوة الأساسي بالوصول الى الخرطوم قبل زمن كافى مما يوقف او يعيق احتلال الخرطوم .

أسلوب التقدم⁽¹¹⁾ وحركة القوات عند الاصطدام بالقوة المقابلة كان يتبع أسلوب المربع في ذلك الزمان ويشبه حالياً أسلوب الصندوق لدينا وهو في شكل مربع ويسمى احبانا بالقلعة , وهو عبارة عن اصطفااف الجنود في شكل مربع متساوي الأضلاع في كل ضلع ثلاثة صفوف في غالب الأحيان ، كل صف داخل الصف الذي قبله والجنود قريبين من بعضهم البعض حتى لا تكون هنالك ثغرة . المدافع توضع في أماكن متعددة من المربع وأحياناً في المقدمة او الزوايا . وهو يستخدم ضد عدو لا يملك نيران أو لديه نيران ضعيفة . وقد اتبع الانجليز هذا الأسلوب في السودان بإعتباره الأنسب قد يكون هذا اعتقاداً صحيحاً في حالات مع أهمية ما ذكر أعلاه في أن تكون قوة نيران العدو ضعيفة وعدم السماح للمهاجم من الدخول الى الوسط مع الحفاظ على الذيل الإداري بما فيه الطبى مؤمناً داخل المربع ولكن يعاب على هذا المربع بطئ الحركة وحدوث ثغرات يمكن أن ينفذ منها المهاجم صاحب العزيمة الى داخل المربع . وبالتالي تفقد الأسلحة النارية لقوة المربع هذه الميزة مثلما ظهر لنا ذلك في تكتيك الأمير عثمان دقنة بشرق السودان ، وفي معركة أبي طليح . كما بين المهاجمين و المربع ، واستغل الثوار هذا الخطأ وبدأ هجومهم الكاسح تحت حماية الإنجليز وبالتالي تفادي نيران المربع حتى أقرب مسافة للمربع الإنجليزى .

مبيت القوات الإنجليزية في ارض القتل⁽¹²⁾ المعدة بواسطة المهاجم يعد عمل غير موفق حيث ادى ذلك إلى استمرار عمليات الإستنزاف بواسطة القوات المهاجمة ، وإحداث خسائر كبيرة في وسائل النقل - الجمال - وفي الأفراد بالإضافة الى العامل الهام وهو زيادة القوات المهاجمة بالدعم الذي وصلها بوصول الراية الخضراء بقيادة موسى ود الحلو . فإذا إستمرت القوات الإنجليزية في الحفاظ على قوة اندفاعها وهاجمت قوات الثوار في نفس اليوم . لكان ميزان تعادل القوة العددية للثوار . ثانياً لضغف قوة النيران لدى قوة الثوار التى كانت تتكون فقط من الجعليين بأسلحة نارية بسيطة وأفرد فيهم كثير من كبار السن و المعاقين والأطفال ميزة أخرى كانت القوات الإنجليزية ستناها وهى رفع الروح المعنوية لقواتهم بهزيمة الثوار وبالوصول الى مكان الشرب في آبار أبي طليح ،عليه فقد أرتكب القائد الإنجليزي صاحب السمعة الطيبة والتجارب الكبيرة والمنصب الرفيع خطأ لا يغتفر بالنسبة له .

الرتل الإداري⁽¹³⁾ الكبير وسط القوات أدى لإعاقة الحركة والى زيادة الخسائر . مع أنه كان المنقذ الحقيقي لقوات المقدمة . التى تمكنت من انهاء المعركة ، حيث لم تستطيع قوات الثوار المهاجمة من الوصول الى مقدمة المربع رقم (1) بسبب عوائق الرتل الإداري في منتصف المربع بعد ان شتت تماسك قوات المربعين (2) و(3) ومؤخرة وأجناب المربع رقم (1) .

دخول قوات ما بين الكمين⁽¹⁴⁾ والقوات المهاجمة من الثوار كان من الأخطاء التكتيكية التي لا يفترض ان يسمح بها قائد القوة الإنجليزي ولكن يبدو انه لم يعطى القوات المقابلة القدر الكافي من الاعتبار في خطته وبالتالي تصرف بعدم المام بحجم التصميم والتخطيط لدى قيادة وأفراد القوة المقابلة ، وفي المقابل كان قائد الثوار سريع الاستغلال لهذا الخطأ وتحويل عامل المبادأة لصالحه ، وإذا لم يحدث هذا فإن خسائر القوات المهاجمة كانت ستكون كبيرة اذا قامت

بالهجوم من المسافة الكبيرة ما بين المربع ومكان انتظار قوات الكمين ، نسبة للقوة النارية العالية التي يتمتع بها المربع الإنجليزي .

يتضح من خلال سير المعركة عدم وجود خطة قوية قليلة العيوب من الجانب الإنجليزي، وذلك ناتج من الاستهانة بالقوات المقابلة وبالنظرة المتعالية التي كانت تتمتع بها الجيوش البريطانية في ذلك الزمان بحكم تكوينها وتنظيمها .وتجاربها وتدريبها والسمعة التي تميزت بها والدليل علي ذلك مجموعة الاخطاء التي حدثت اثناء المعركة وذكرناها بعالية بالإضافة لتصرفات بعض القادة الفردية من تعديل في شكل انفتاح القوات دون الرجوع لقائد القوة .

ما ذكرناه لا يعني عدم وجو ايجابيات لخطة القائد الانجليزي من هذه الايجابيات اولا استطاعت قوات مقدمة المربع رقم (1) علي الرغم من الزخم الذي حدث ان تفض الاشتباك وتحسم الأمر مما جعل القوات المهاجمة تنسحب ثم تعيد تنظيمها وتجمع بقية قواتها في شكل مربع جديد وتواصل سيرها حتى أبار أبي طليح ثانيا ،بحسب لقائد القوة التصميم والإصرار والتماسك لديه اذ تمكن بعد هذه المعركة التي تعتبر من الشراسة والمواجهة المباشرة من جمع شمل قواته وإعادة تنظيمها والتحرك بها نحو الآبار.

بالنسبة لخطة القوات الثائرة مع انها حققت القصد المعطى لها من تدمير جزء من قوات العدو وعدد كبير من وسائل الحمل ممثلة في الجمال - الرتل الإداري - إلا أنها صاحبها بعض الأخطاء .

تحليل عسكري (للخططين) من ناحية تكتيك عسكري :

أ. خطة الكمين كانت مكشوفة ومعلنة لقوات العدو قبل ان يكتمل وصول بقية القوات التي تعتبر القوة الرئيسية لتدمير العدو مما كان سيجعل الانتصار او الفوز لصالح قوات العدو ان هي نفذت عملية الهجوم في نهار اليوم الأول لوصولها وام تقم بعملية المبيت في الزريبة حتى صبيحة اليوم التالي ويبدو حسب رؤيتي بان ذلك ناتج من العقيدة وحجم الحماس والاندفاع والرغبة في تنفيذ عمل كبير من جانب قوات الجعليين دون حساب للمخاطر في مجابهة قوة تتمتع بقوة نيران كبيرة يمكن ان تحصد الجميع إضافة لما عرف سكان المنطقة الجعليين من عدم مهابة العدو ومهابة للعب والعار من حرائر القبائل.

ب.عدم الاستفادة من سائر الظلام وذلك بان يتم تنفيذ الهجوم ليلا او تنفيذ التقرب ليلا لقوات الاقتحام الرئيسية فإذا تم ذلك تكون القوات الثائرة قد سحبت ميزة الأسلحة النارية الكثيرة المتوفرة للعدو وبالدرجة الأولى مدافعة وقللت من حجم خسائر الهجوم نهارا مما أدى لان تتمكن القوات الانجليزية من ايقاف حركة محورين للقوات المهاجمة هما المحور يسار مجموعة الامير موسي الحلو اللذين كانا بقيادة الامير عبد الله برجوب والامير احمد جفون وإيقافهم علي مسافة مائتي متر مربع وكانت الخسائر كبيرة في المحور الذي يقوده الامير محمد ود بلال والاهم من هذا كله هو تمكن مقدمة المربع رقم (1) من أحداث خسائر كبيرة وانتهاء المعركة بجعل القوات الثائرة تنسحب تحت نيران كثيفة من نيران المقدمة .

إدخال عدد كبير من القوات الثائرة الي وسط المربع بالإضافة إلي القوات الانجليزية المدمرة وكميات من الجبال الكثيرة الواقف منها والساقط ادي ذلك الي عدم تمكن القوات الثائرة من المناورة ووقف عائقا دون الوصول الي المقدمة المربع رقم(1) والتي كان لها فضل إنهاء المعركة . طغيان الحماس علي التكتيك الحربي كان السبب الرئيسي وراء الخسائر الكبيرة في قوات الأنصار كمان ان تقدم امراء قوات الأنصار لقيادة المعركة ادي الي فقدان السيطرة علي قوات الأنصار الكبيرة العدد وقليلة العتاد وهذا سر استشهاد اغلب قادة الأنصار في هذه المعركة. خطة قوات الثوار تميزت بعدة نقاط هامة وحيوية كانت الأساس في إعطاء النتائج الطيبة التي انتهت عليها المعركة ويمكننا إجمالها في النقاط التالية :-

الاستطلاع المستمر والحصول علي المعلومات عن تحركات قوات العدو ومداومة الاتصال بها قبل المعركة وإثناء المعركة وبعدها مما ادي الي ان تكون اتجاهات حركة القوات المعادية معروفة لدي قواتنا وبالتالي إمكانية تحديد مكان وزمان العمل العدائي تجاهها وهذا ما جعل القائد مالكا لزمان المبادأة وهي تمثل مبدأ حيوي وهام للعمليات التعرضية⁽¹⁵⁾.

العقيدة القوية الراسخة بسبب الدين وعدالة القضية المتمثلة في صد غزاة هدفهم احتلال الأرض والعرض جعلت الدافع للقتال يكون من القوة بحيث لا مجال للتفكير في الموت او اي شئ خلافة وبما ان هذا الموت يعد شهادة في سبيل الله يترتب عليها الفوز بنعيم الآخرة ادي ذلك لان تكون الروح المعنوية احدي العوامل الهامة والمبادئ الأساسية للحرب وكما ذكرت كانت هذه احدي المميزات والخصائص الهامة التي ادت الي نجاح المعارك التي خاضها الثوار في ابي طليح او الشبكات او شيكان أو الجزيرة أبا .

استغلال الفرص او امتلاك المبادأة⁽¹⁶⁾ ان الفرص التي سنحت بأخطاء في خطة العدو تم استثمارها بصورة ممتازة من جانب قادة القوات الثائرة ونذكر مثالين لذلك أولاً: عندما اخطأ قائد قوات العدو باتخاذ قرار المبيت داخل المنطقة التي تم إيقافه فيها في منطقة ابي طليح قبل وصوله للآبار تم استغلال هذا الخطأ بواسطة الثوار مباشرة في تنفيذ هدفهم الذي تمثل في قتل اكبر عدد من جمال حمل تموين القتال اي ما يمثل الرتل الإداري ونجحوا في ذلك إضافة للخسائر الأخرى في الافراد والخيول واستمر ذلك العمل في صبيحة اليوم التالي وهذا ما يعرف بامتلاك المبادأة حيث تمكنت قوات الثوار من جعل قائد قوات العدو يفكر في التحرك من مكانه بتشكيل الصندوق نسبة لتأكده من الهزيمة اذا استمر الحال كذلك فترة طويلة حيث يستمر الاستنزاف لقواته وتنتهي مياه الشرب وبالتالي يكون الخطر من جانبيين الرصاص والعطش وحتى عندما اتخذ قرار الحركة وكون مربعة وبدا في تحركه ظلت المبادأة بيد القوات الثائرة بدليل انه كان يتوقف هجومها عليه في كل لحظة الي ان هاجمته قوات الثوار المثال الثاني كان عندما استغل القائد موسي ود حلو فرصة دخول عناصر من قوات العدو بين مربع العدو والقوات الثائرة بدون علمهم وسريعا ما استغل موسي محمد الحلو ذلك وهجم علي قوات العدو مستغلا هروب عناصر العدو كساتر بينه وبين الأسلحة المصوبة عليه وهي ذات كثافة نيران عالية مكن هذا الاستغلال

للظرف المناسب من تحرك قوات الثوار حتى مسافة مائتين متر فقط من مربع العدو وبعدها كان الفاصل صغيراً بحيث تم اقتحام مربع العدو رقم (2) ثم رقم (3) ثم رقم (1) وإذا لم يستغل الأمير موسي هذه الفرصة بطريقة ممتازة لكانت خسائر القوات النائرة لقطع هذه المسافة التي تبلغ ثمانمائة متر إلى المربع الإنجليزي هي سحق قوات الثوار تماماً بواسطة مدافع العدو الرشاشة وهذا أيضاً امتلاك لعامل المبادأة ثم استغلال النجاح بصورة حققت كثير من النجاح والمفاجأة . مرونة الخطة بحيث يستطيع القائد أن يغير أو يعدل الخطة خلال سير المعركة دون أن يؤدي ذلك إلى تغيير قصده وهذا مما أدى إلى نجاح الخطط وفي حالة خطة الثوار كانت الخطة مرنة بحيث أنه يمكن تحقيق القصد في كلا الحالتين للعدو وهما إذا دفع العدو متخذاً الزريبة كموقع دفاعي يحتمي خلفه فإن استمرار عمليات الاستنزاف ستؤدي في النهاية إلى تدميره باقتناص دوابه ورجاله أو موته عطشا أما إذا تحرك العدو متخذاً طريقة إلى الإبار فيكون بذلك قد خرج من استحكاماته ⁽¹⁷⁾ ويصير عرضة للهجوم عليه وهذا ما حدث أيضاً هنالك مرونة أخرى للخطة تمثلت في وضع الاعتبار اللازم لتغطية طرق تقرب العدو للآبار فإذا سلك الطريق المعروفة والآبار المعروفة فإن الخطة وضعت لتغطية ذلك أما إذا سلك الطريق الأخر للآبار وهو يختلف عن الطريق الأول فلقد تضمنت خطة الثوار ذلك .

التنظيم الجيد لقوات الثوار وللمجموعات الهاجمة فلقد ظهر من خلال المراجع المستندة على الوثائق الإنجليزية نفسها بأن مجموعات المقاتلين النائرة كانت تتميز بتنظيم جيد خاصة أثناء عملية تحركها للهجوم مما يدخل الخوف في مشاهدي عملية الهجوم من الطرف المعادي أو المقابل وكان منظر يتمثل في شكل سهم ⁽¹⁸⁾ يتقدمهم أو قائد المجموعة وهو الأمير حاملاً الراية يليه الفرسان في شكل طابور يليهم من حملة الأسلحة النارية والبيضاء ويكمل هذا التنظيم بالحركة السريعة والخفيفة والتي تتميز بالقوة والعزيمة والإصرار.

الدروس العسكرية المستفادة من معركة أبو طليح :

تحديد القصد على القائد علي أن يحدد قصده بوضوح للمرؤوسين وأن لا يكون أكثر من واحداً محدداً الأهداف وأن يستصحب ذلك تصميم المرؤوسين علي بلوغهم الهدف في الزمن المحدد. وحدة القيادة حتى لا يظهر اختلاف الرأي وبالتالي عدم التنسيق مما يؤدي إلى ضياع الجهود وإهدار الطاقات المادية والبشرية ولنا أمثلة في الوقت الراهن متعددة .

التدريب : وخاصة التدريب ليلاً فإذا كانت قوات المجاهدين ذات تدريب ليلاً ونهاراً لما كانت الخسائر بهذا العدد وينطبق نفس الأمر على العمليات الحالية بمناطق العمليات.

العقيدة : أهمية استصحاب الإعداد العسكري بعقيدة تملا الجوانح وبالتالي يظهر الدافع المؤدي لعزيمة قوية تجعل من الروح المعنوية للمقاتل مالا يمكن وصفه بكلمات ولكن يجب المقارنة ما بين ذلك والاندفاع والحماس بدون تفهم لتنفيذ المهمة والهدف الرئيسي من العملية وهو النصر أولاً .

التخطيط المسبق المرتكز على المعرفة الكافية للمقاتل لمعدته وقوته ، تسليحه ، تنظيمه ، تعبئته ، مقدراته ، تصميمه على القتال ، قاداته ، نقاط ضعفه ، ونقاط قوته وأهدافه ودوافعه وهذا ما كان يجهله القائد الإنجليزي عن المجاهدين.

دراسة عامل الأرض : أي تحليل منطقة العمليات مما يجعل من تقدير الموقف ⁽¹⁹⁾ للقائد

يستند علي أرضية قوية تؤدي لنجاح خطته وبدون هذا العامل لا توجد خطة .
أهمية المعلومة وبالتالي أهمية الاستخبارات وأهمية عناصر الاستعراض مع الاهتمام بسرعة وصول المعلومة في الزمان والمكان المحددين.

أهمية مقدرة القادة علي ابتداع طوابير جديدة للحركة والمناورة والقتال حسب ما يقتضيه الموقف وعدم التجمد عند المعلوم لديهم فقط والاستفادة من المصادر المتيسرة وهذا ما وضع جليا من فشل تشكيل الصندوق المستخدم بواسطة القائد الانجليزي خاصة وان يضمنه القول الإداري⁽²⁰⁾ تم تدميره دون ان يستطيع القائد القيام بعمل مقابل مرونة الخطط بحيث تستطيع الخطة ان تستوعب كل المفاجآت المحتملة الحدوث دون ان يؤدي ذلك الي فشلها أو تغيير القصد النهائي منها وهذا عامل هام حالياً في ظل نقص المعلومة عن العدو والأرض حيث تستطيع مرونة الخطة ان تعالج ذلك بنسبة كبيرة .
ضرورة الاهتمام بعمليات الخداع والتستر مع ملاحظة عدم المبالغة في ذلك لان المبالغة تؤدي الي كشف خطة الخداع فكلما كانت خطة الخداع بسيطة كلما كانت أكثر قابلية للنجاح ثم استخدام الخداع في عدة اماكن من الجانبين في معركة ابي طليح .

الخاتمة :

معركة أبو طليح تعتبر أهم المعارك التي خاضتها الثورة المهدية ضد الإنجليز وتعتبر عملية عسكرية حاسمة لموقف أدى لتحرير الخرطوم ومقتل غردون . الانتصار الذي أتي كان قيمته عقيدة قتالية التف حولها الألف الأنصار من كل أنحاء السودان .

النتائج :

- نستنتج من معركة أبو طليح الروح الوطنية التي كانت تسود أهل السودان من خلال الملمح لاشتراك قوات المهدي القادمة من الراية الخضراء والانضمام لقوات ود سعد بالمتمة .
- نستنتج من معركة ابو طليح توحيد العقيدة القتالية من المقاتلين تحت راية لا اله الا الله وأشهد ان محمد رسول الله كانت داعم معنوي للمقاتلين .
- نستنتج من معركة أبو طليح عدم معرفة قوات العدو الانجليزية لإنقاذ غردون لطبوغرافية المنطقة وطبيعتها انهكت القوة مما سبب ضعف في الروح المعنوية .
- نستنتج من معركة أبو طليح بأن التخطيط المسبق لإستراتيجية المهدي بتعطيل ومقاومة خط حملة إنقاذ غردون قاد الي اسقاط الخرطوم مبكراً قبل وصول الحملة .
- نستنتج من معركة ابو طليح ان العزيمة و الارادة و التخطيط هما وسائل النجاح و الانتصار .

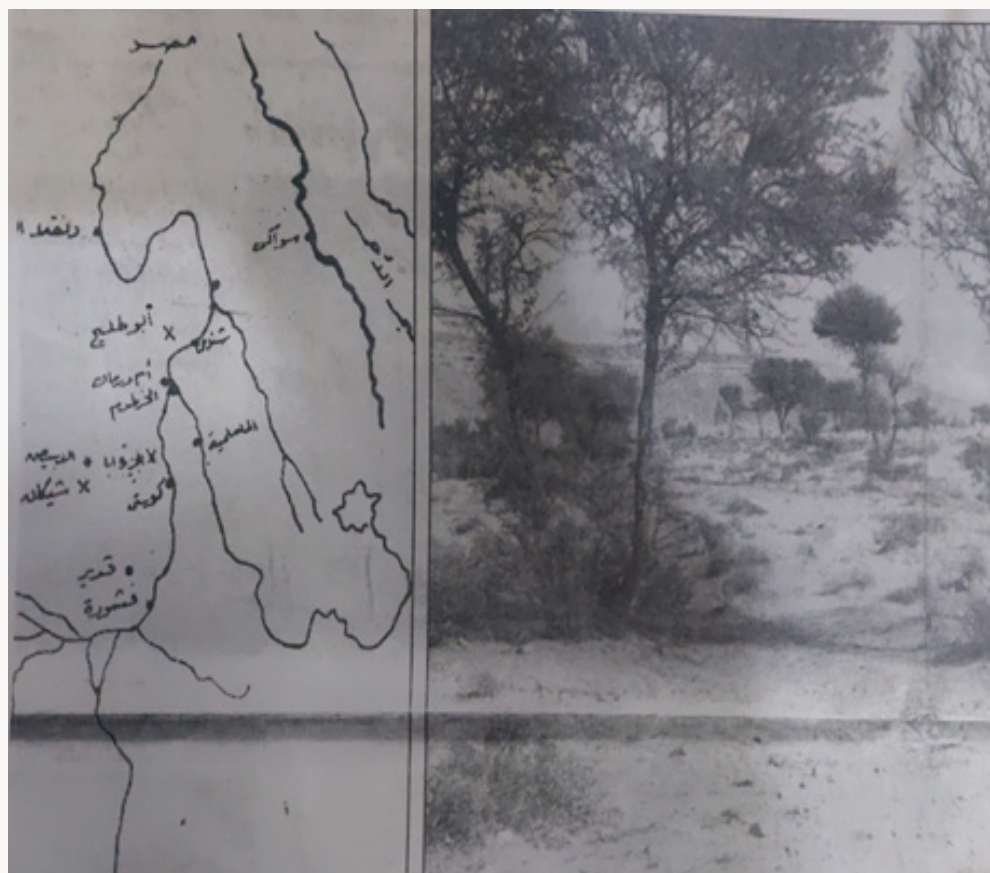
التوصيات :

- يجب أن تكتب معركة أبو طليح في كتاب تشمل كل النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية.
- إعداد معركة أبو طليح في فلم وثائقي يبيث من خلال كل الوسائط الإعلامية .
- يجب تسليط الضوء علي معركة أبو طليح ليتعرف جيل اليوم علي مجاهدات السلف الصالح في تعطيل حملة إنقاذ غردون .

طبوغرافية منطقة أبوطليح - شمال غرب الممتمة - ولاية نهر النيل



خريطة أبوطليح



الهوامش:

- (1) المستوى التعبوي : هو المستوى التكتيكي .
- (2) المستوى الميداني : هو مسرح العمليات .
- (3) طابور الصحراء : تشكيل اقتضته الظروف بعد تعثر سير الحملة
- (4) يعني تسليح اللواء تسليح بندق فقط
- (5) الهجانه وحدات عسكرية مدربة علي ركوب الهجن .
- (6) لواء الهجانه الثقيل ، تسليح اللواء ثقيل يعني مدعوم بأسلحة مساندة
- (7) تعادل القوة : المقارنة بين القوتين .
- (8) العقيدة القوية : عسكرياً تسمى العقيدة القتالية .
- (9) تشكيل المربع : هو تشكيل الصندوق .
- (10) ستر الانسحاب : تغطية الانسحاب .
- (11) التقدم : وجه من اوجه الحرب الاربع هي (تقدم ، هجوم ، دفاع ، انسحاب) .
- (12) ارض القتل : مسرح العملية او مكان المعركة .
- (13) الرتل الإداري : المؤون من الذخائر والأطعمة وغيرها .
- (14) الكمين : موقع اختفاء القوات تحت غطاء او ساتر .
- (15) العمليات التعرضية : هي العمليات الدفاعية .
- (16) المبادأة : النجاح الأولي ويعد انتصار .
- (17) استحكاماته : موقع الدفاع .
- (18) شكل سهم : نوع من أنواع تنظيم القتال ألان يدرس في علم التكتيك ويسمي تشكيل راس سهم .
- (19) تقدير الموقف : هو الخطة المفصلة للقائد .
- (20) القول الإداري : هو الرتل الإداري

المصادر والمراجع :

- (1) عبد المحمود أبو شامه (1986) من آبا إلي تسلهاي المطبعة العسكرية أم درمان.
- (2) الطيب أبشر الطيب (2006) الوثائق والأرشيف مطبعة جامعة الخرطوم .
- (3) عمر النور أحمد (2000) أبو طليح 1885 مطبعة الشهيد عثمان عمر الخرطوم بحري .
- (4) محمد عبد القادر نصر الدين (2008) الممالك القديمة والحروب العسكرية المطبعة العسكرية أم درمان .
- (5) عبد الله الطيب (2000) ورقة عن أبو طليح نادي الضباط .